القرينة من فروع الثاني لا يقال الاستغراق يلزمه تخلف باعتبار الواقع وجراحاته انما هي ادعائية لانا نقول
ذلك وان سلم في غير مقام الحمد لا يأتي فيه لان كون كل حمد مستحقا لله او مختصا به تعالى
امر قطعي لا يتصور فيه تخلف **فائدة** حاصل اقسام ال انها للجنس ولاستغراق افراده ولاستغراق
خصائص الافراد نحو انت الرجل علما وللماهية نحو وجعلنا من الماء كل شئ حي وللعهد الذهني
والذكري والحضوري نحو اليوم اكملت لكم دينكم وتكون زائدة وهي كالذي والتي ونحوها
وهي اما كثيرة كالحارث والعباس او قليلة ان وقعت في الشعر كقوله رأيت الوليد بن اليزيد مباركا
او شاذة كادخلوا الاول فالاول وتأتي بمعنى الذي وفروعه وللاستفهام حكى ال فعلت بمعنى هل
فعلت وقرن الحمد بالجلالة الدالة على استجماعه تعالى الصفات الكمال واستحقاق الحمد لذاته
لئلا يتوهم اختصاصه بصفة دون اخرى وفيه اشكالان بينت جوابيهما في شرح الارشاد
وماذكر من ان اللام للاختصاص او الاستحقاق هو من جملة معانيها الكثيرة ومنها
الابتداء والتعليل والملك والتمليك كوهبت له والعاقبة نحو فالتقطه آل فرعون ليكون لهم
عدوا وحزنا فهذا عاقبة التقاطهم لا علة لانها للتبني والقسم ولام الامر وجواب لو ولولا
وكي والتعجب نحو للفقراء الذين احصروا في سبيل الله اي اعجبوا لهم والاستغاثة والتوكيد
نحو فعال لما يريد وتوكيد النفي والتعدية وبمعنى الى وعلى نحو يخرون للاذقان يبكون وفي
نحو ونضع الموازين القسط ليوم القيامة وعند نحو صوموا لرؤيته وبعد نحو اقم الصلاة
لدلوك الشمس اي بعده خلافا للزمخشري ومن نحو سمعت له صراخا وعن نحو وقال الذين كفروا
للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه اي قالوا ذلك عنهم والا لو كانت للتبليغ لقيل ما سبقتمونا اليه
وانما اخرت الجلالة مع ان ذكره تعالى اهم في ذاته لان المقام مقام حمد فتقديمه اهم رعاية للمقام
وعملا بقضية البلاغة اذ هي مطابقة مقتضى الحال من غير نظر الى الامور الذاتية وبالاصل وهو تقديم
المبتدا وآثروا لفظ الحمد على لفظ الشكر لان الحمد يعم الفضائل والفواضل والشكر يختص بالثاني كما مر
وتأسيا بالكتاب والسنة وعلى المدح لهذا ولان المدح قد يكون على غير الاختياري كما مر
ولان فيه قولا انه يعم غير الحي ويكون قبل الاحسان وبعده والحمد يختص بالحي ويكون بعد الاحسان
فالحمد اولى لدلالته على انه تعالى حي وصل احسانا الى العباد وان ما صدر عنه من جزيل النوال
وماله من صفات الكمال باختياره تعالى وحذف المحمود عليه ايذانا بالعجز عن ذكره تفصيلا
وذكره اجمالا الا البغية فيه لان القصد به التعميم والحذف يفيد هذا لان حذف المعمول يؤذن بالعموم
ثم لما كان غرض المصنف ان يجمع في كتابه هذا من بدائع الفروع النادرة وغرائب المسائل
المتكاثرة على منوال لم يسبق اليه ولم يعرج من تقدمه عليه لا سيما مع الايضاح والايجاز
والتخلص من وصمة الاغلاق والالغاز وانت خبير بان هذا الجمع الاكبر مع هذا الاسلوب
الاوضح الاخصر لا يحصل الا لمن منحه الله من بدائع حكمه علوما تتنى لقصر عن ادراكها العقول

ودخ

وفتح مقفل فهمه ونور بصر بصيرته ولبه بسبب كونه اواها رجاعا مفضالا مطواعا وحقق له
فصل الخطاب ونهاية الوصول ناسب ان يرشح فاتحة كتابه بما يؤذن بهذا الغرض جريا
على قوانين البلغاء من اتيانهم في اوائل اغراضهم ببراعة الاستهلال لما انهم يرون ان الكلام اذا
رشح بها اولا استهشت الانفس الاسماع وهزت القرائح ونشطت الاذهان لانه اول ما يقرع السمع
ويلوح بالمقصود وينبه على براعة المطلع التي هي عبارة عن سهولة اللفظ وصحة السبك ووضوح
المعنى ورقته والذي رشح به كتابه خليق بذلك كما اشرت اليه وستزيده وضوحا
عند تقريره فقال **الذي جمع ببديع** الباء فيه للمصاحبة على حد اهبط بسلام وعلى حد تنبت
بالدهن على قراءة من ضم تاء تنبت فالظرف حال من المفعول اي جمع اشتات العلوم حال
كونها مصاحبة لبديع **حكمته** من اضافة الصفة للموصوف كجرد قطيفة لانها
لما قدمت عليه انخلعت من التابعية وصارت كالجوامد بولاية الفعل اياها واضيفت اليه
في الاصل اضافة الشئ الى جنسه اي بحكمته البديعة من الابداع وهو تكوين الشئ من غير سبق
مثال ولذلك يقال لكل من اتى في فن من الفنون بما لم يسبق اليه انه ابدع فيه ولمن قال
وعمل ما لم يكن قبله مبتدعا ومن ثم افتتح المصنف به اشارة الى انه ابدع في هذا الكتاب
حيث اتى فيه من الاستيعاب لفروع المذهب ومتفرقاته بما لم يسبق اليه وبهذا يعظم حسن
موقع ما فيه من براعة الاستهلال وعذوبة المطلع قال القفال والبديع من اسمائه تعالى بمعنى
المبدع كحكيم بمعنى محكم غير ان في البديع من المبالغة الدال عليها العدول به عن مبدع ما ليس في
فلذلك كان دالا على استحقاق الصفة في غير حال الفعل على تقدير ان من شانه الابداع اي الانشاء
والاختراع على غير مثال سبق والحكمة كما في القاموس تطلق على العدل والعلم والحلم
والنبوة والقرآن والانجيل فهي اسم لكل علم وعمل صالح وهو بالعلم العملي اخص منه بالعلم
النظري وفي العمل اكثر استعمالا منه في العلم ومنه احكم كذا اي اتقنه واذا تقرر ذلك فهي
منه تعالى اما خلق ما فيه منفعة العباد ومصلحتهم حالا ومآلا ومن العباد قيل معرفتهم الاشياء
بحقائقها بخلاف ادراك الجزئيات اذ لا كمال فيه لتغيره وادراك الماهية مصون عن التغير والتبدل
وقيل اتيانهم بالفعل الذي له عاقبة حميدة وقيل اقتداؤهم به تعالى في السياسة بقدر الطاقة البشرية
بالاجتهاد في تنزه العلم عن الجهل والعدل عن الجور والجود عن البخل والحلم عن السفه واما العلم
والعدل وهو وضع الاشياء في محلها وقد فسرها الحكيم من اسمائه تعالى فهو على الاول
من صفات الفعل اذ هو الفاعل لما لا اعتراض لاحد عليه لو وضعه الفعل في محله وعلى الثاني من صفات
الذات وبهذا المعنى يقال حكيم في الازل ولا يقال على ذلك المعنى الاول وعلى انها بمعنى العلم
فوجه ايثارها عليه بالذكر الفرار من ثقل تكريره في جمعه والاشارة الى نحو ما مر من انه انعم
عليه في هذا الكتاب بانواع من الحكمة **اشتات العلوم** اي متفرقاتها اذ الاول جمع

Copyright © King Saud University